ست جولات في الغابة القصصية

تأليف

امبرتو إيكو

ترجمة

الدكتور محمد منصور أباحسين

أستاذ مشارك

بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب- جامعة الملك سعود

النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود

ص. ب ٢٤٥٤ الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية

ح جامعة الملك سعود ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).

هذه ترجمة عربية مصرح بها لكتاب :

Six walks in the Fictional woods

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

إيكو ، امبرتو

ست جولات في الغابة القصصية / ترجمة محمد منصور أباحسين - الرياض. ١٧٦ ص ، ١٧×٢٤

ردمك ١ - ٨٣٠- ٠٥-٩٩٦

١ - القصة الايطالية - نقد أ - أبا حسين، محمد منصور (مترجم)

ب - العنوان

ديو ٨٥٣ ١٩/١٨٥٥

رقم الإيداع : ١٩/١٨٥٥

ردمك : ١ - ٨٣٠-٠٥-٩٩٦٠

حكمت هذا الكتاب لجنة متخصصة شكلها المجلس العلمي بالجامعة، وقد وافق على نشره بعد الاطلاع على تقارير المحكمين في اجتماعه الرابع عشر للعام الدراسي ١٤١٨/١٤١٩هـ المعقود بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٤١٨هـ الموافق ١٩/ ٤/ ١٩٩٨م.

النشر العلمي والمطابع ١٤١٩هـ

إهداء :

إلى أخوي عبدالرحمن وعبدالعزيز وإلى أختي الجوهرة وشيخة

كلمة شكر

أود أن أشكر الأستاذ الدكتور محمود إسماعيل صالح، مدير مركز الترجمة في جامعة الملك سعود، على تلطفه بالإتصال بجامعة هارفرد للحصول على حقوق طبع هذه الترجمة العربية لمطابع جامعة الملك سعود. كما أشكر زوجتي جل آن روبرغ أباحسين على مساعدتها الدائمة. وأشكر الأستاذة الدكتورة فريال جبوري غزول، والدكتور سعد البازعي والدكتور محمد خير البقاعي والدكتور سعود الرحيلي والدكتور برونو لونحو على ما أبدوه من ملاحظات قيمة وجدت طريقها إلى الترجمة. وأخيرًا، أشكر جميع العاملين المعنيين في مطابع جامعة الملك سعود.

المترجـــم

مقدمـــة المترجـــم

من امبرتو ايكو هذا؟ ولماذا يختار إنسان قراءة كتاب يحتوي على ترجمة محاضرات قصيرة ألقاها ايكو في جامعة هارفرد؟

إذا كنت تعتقد أن التعرف على المؤلف واهتماماته النقدية ستضيف شيئًا إلى موسوعتك المعرفية فاقرأ هذه المقدمة. وحيث أن لكل قارىء حرية الاختيار، فلربما اخترت تجاوز هذه الصفحات والشروع مباشرة في قراءة هذه الجولات وإنني على ثقة تامة بأن محتواها سيقودك في النهاية إلى فهم أفضل للمؤلف والموضوع مما ستوفره لك هذه المقدمة. أما إذا كنت ترغب في معرفة المزيد عن الرجل الذي سيصحبك في هذه الجولات عبر غابات قصصية وسينمائية بعضها ضبابي وبعضها قليلة علاماتها الدالة، فإنني سأزودك بعجالة مناسبة. ومع أن معظم الأعمال الأدبية والسينمائية المذكورة في هذه المحاضرات مألوفة لدى القارىء الغربي، فإن في إمكان القارىء العربي - إن شاء - الرجوع إلى *الموسوعة العربية العالمية* لمعرفة المزيد عنها.

*****

ولد امبرتو ايكو في بلدة اليساندرا بالقرب من مدينة ميلانو الإيطالية. وقع في غرام الفلسفة في الجامعة ثم أصبح أستاذًا لأدب القرون الأوروبية الوسيطة في جامعة فلورنسا ثم انتقل إلى جامعة بولونا سنة ١٩٧١م. يدرس السيميائية أو علم العلامات، وهو موضوع شائك لا يتجاوز عدد الملمين بمبادئه المئات. ألف عددًا من

الكتب العويصة ساعيًا إلى تقنين نظرياته ، وعلى الرغم من ذلك فله شعبية أكاديمية تشهد بها القاعات المكتظة حتى وإن كان موضوع المحاضرة مغموراً. يتحدث خمس لغات ويملك شهرة أدبية ونجومية عالمية. لقبته مجلة النيوزويك بالبروفسور النجم. يمكن العثور عليه في مواقع عديدة على شاشة الانترنيت. فلماذا ينجذب الناس إلى شيخ أكاديمي متخصص في أدبيات القرون الوسطى؟ إن الإجابة لاتكمن في ما يقوله فحسب، وإنما في العملية التي ينتهجها ليقودك إلى إدراك ما "يعنيه".

ثمة طريقان على الأقل لفهم أهمية أعمال ايكو. الأول من خلال الثقافة العامة. فهو مؤلف روايتين ناجحتين هما *اسم الوردة* التي تحولت إلى فيلم سينمائي، و*بندول فوكو* إضافة إلى روايته السريالية الأخيرة *جزيرة ما قبل اليوم*.

وتعود شعبيته إلى قدرته على إنتاج فن إبداعي استثنائي هو في الوقت ذاته تطبيق عملي لنظرياته النقدية. ويتجلى في هذه المحاضرات النورتونية - التي هي جزء من سلسلة محاضرات سنوية يلقيها الأكاديميون المعتبرون في حقول الآداب الإنسانية في جامعة هارفرد وتشكل أنموذجًا تحتذيه الجامعات الأمريكية - قدرته الإبداعية على طرح نظرياته النقدية المعقدة بأسلوب ممتع وساخر ومفيد. فلغته سهلة ومريحة لأن هدفه القيام بدور "الدليل" في الغابات القصصية، فقد عاش في الغابات وأحبها وعرف ممراتها وشعابها. أما ايكو المحاضر فسيقودك عبر الغابات النصية ببراعة حازت إعجاب الأكاديميين والقراء العاديين معًا.

*****

يستمد امبرتو ايكو سلطته النقدية من معرفته التامة بعلم العلامات، وهو حقل بعيد جدًا عن مجال القراءة العامة، ومع ذلك فإنه يؤثر في تفاعلنا مع النصوص المكتوبة والمسموعة والمرئية ومع التقارير الاقتصادية ووسائل الاتصال البشري، وفي *بندول فوكو* مثال على ذلك. فالمخطوطة التي يعود تاريخها إلى القرون الوسطى قرِئت على أنها مؤامرة حبكها "فرسان الهيكل" ونسجت حولها

الحكايات على مر العصور وافضت إلى بروتوكولات صهيون التي أثرت على التاريخ. إلا أن البطل في بندول فوكو يكتشف أن المخطوطة ليست سوى قائمة تسوق منحها التأويل معنى آخر. كما يمكن لقارىء الصفحة الاقتصادية في جريدة ما أن يستدل من الأرقام، وهي مجرد علامات، على الحالة الاقتصادية كما يمكن لمشاهد فيلم يصور غرفة أغلق بابها بعنف أن يؤول اصطفاق الباب على أنه علامة على غضب الزوجة. في حين أن الريح أعلقته مصادفة. أو أن تؤول الحماة تراكم الغبار على الأثاث بأنه علامة على كسل زوجة ابنها بينما تؤوله الزوجة على أنه علامة على حاجتها إلى خادمة. ويستحيل في هذه العجالة تعريف السيميائية أو علم العلامات، إلا أن فكرة وضع العلامات في الغابة النصية وغيرها من الغابات الأخرى تعود إلى المفكر الأمريكي تشارلز ساندرزبيرس.

أدت ثورة الاتصالات والوسائل الإعلامية خلال العقود الماضية إلى الاهتمام بالدراسات السيميائية. ومع أن مشروع دراسة الاحتمالات العديدة للعلامات قديم جدًا إذ يعود إلى أرسطو الذي ناقش الفرق بين {Semainon} و {Semainomenon} و {Pragma}، فإن الفلاسفة الرواقيين {Stoic} هم الذين توصلوا إلى الفروقات الأساسية بينها.

قام لوك {Locke} الفيلسوف البريطاني (١٦٣٢-١٧٠٤م) الذي أوجد مصطلح السيميائية باستقصاء العملية التي يقوم بها العقل ليربط بين شيء حقيقي ومفهوم مجرد لإنتاج علامة دالة. فقد كان الاهتمام العلمي في عصر لوك منصبًا على الفهم الحرفي للعلامات وعما إذا كانت العلامة تدل على مفهوم محدد أم لا. ثم تحول اهتمام السيميائيين المحدثين من البحث عن التطابق بين العلامة والمفهوم المجرد إلى تحليل عملية إنتاج العلامات. ويعد تشارلز ساندرز بيرس (١٨٣٩-١٩١٤م) وفردناند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣م) من أبرز الرواد السيميائيين. كان سوسير لسانيًا شغلته الثنائية النوعية للعلامات، الدال والمدلول، المرسل والمرسل إليه وجميع الثنائيات التي هي جزء من النسيج النقدي الحديث. إلا أن الطبيعة الثنائية السوسيريه كانت محدودة مما دعا دي سوسير نفسه في سنة

(١٩٤٣م) إلى ملاحظة أن النظام العلاماتي يجب أن يعمل في إطار أوسع. وكان ياكبسون أول من أشار إلى مثلث بيرس.

عاش تشارلز بيرس في القرن التاسع عشر، واعتبر أول عبقري أمريكي. كان رياضيًا ومنطقيًا وفيلسوفًا براجماتيا (فلسفة تقول أن الحقيقة نسبية وأنها ليست مستقلة أو مطلقة) قادته الطرق العديدة التي طرقها إلى طريق «التفكير الواضح» {Clear thinking} فسعى إلى إيجاد نظرية علاماتية كونية تقوم على تعاون ثلاثي يتكون من العلامة {Signe} والشيء {Subject} (وهنا توقف دي سوسير) والمؤول {interpretent}. ولم تحظ نظرية بيرس بالاهتمام إلا في العصر الراهن. كان بيرس كاتبًا مُكثرًا تحتفظ مكتبة هارفرد وهوتن بطرود كثيرة وصناديق عديدة غير مصنفة لأعماله. وأثرت نظرياته التي ظهرت حتى الآن في الدراسات اللسانية والنقدية والاتصالية.

إذا كان بيرس هو مؤسس النظرية السيميائية فإن توماس سيبوك {Thomas Se-bok} امبرتو ايكو هما مفسراها. ومع أن امبرتو ايكو قد حرر عددًا من الكتب التي ترجم بعضها إلى العربية فإن أعماله كما يقول ناشر ترجمة كتاب *القارىء في الحكاية* صعبة للغاية "فكلما طرحت فكرة ترجمة عمل أو أكثر لامبرتو ايكو على أحد الأصدقاء، كان يأتيني جوابا [كذا] يثنيني عن عزمي، ومبرر ذلك دائمًا أنه يكتب للخاصة، وأن ترجمته صعبة جدًا".

تظهر براعة ايكو في إيضاح العملية السيميائية أمام أعيننا خلال التجول في غاباته، وعلى خلاف الثنائية القديمة، فإنه لا يمكننا أن نسير في خط مستقيم في غابات غير معلَّمه. إذ أن الأشجار ستعترض طريقنا فيتحتم علينا اتخاذ أحد الخيارات المتاحة. وهذه الخيارات من حق القاريء الذي يشكل الطرف الثالث في معادلة القراءة النصية في هذه الجولات الست.

المترجم

ترجمة حوار

د. برونو لونجو مع د. محمد منصور أباحسين
حول ترجمته كتاب: أمبرتو إيكو
ست جولات في الغابة القصصية
ونُشِرَ في مجلة: Welcom to Italy

س١: د. أبا حسين لماذا إيكو؟ أعتقد أنها المرة الأولى التي يترجم فيها إيكو في السعودية، أليس كذلك؟

جـ١: بدأت علاقتي بالبروفيسور إيكو عن بعد (virtually) منذ سنوات عديدة، قبل أن ينشر سنة (١٩٩٥م) محاضراته النورتونية التي ألقاها في جامعة هارفرد بالولايات المتحدة الأمريكية، وقبل أن ينشر رواية *اسم الوردة* التي بوأته منزلة «فنان النقد التطبيقي» فكلانا يعيش أكاديميًا في عالم القرون الوسطى الضبابي، فهو أستاذ أدب القرون الوسطى في جامعة بولونا. وأنا أستاذ الأدب العربي في تلك القرون، (٧-١٢هـ/ ١٣-١٨م) في جامعة الملك سعود، وهي فترة راج فيها الرمز الصوفي. والسير الشعبية العربية، والغربية، وحكايات ألف ليلة وليلة. وأفضت القراءة القروسطية للنصوص وتأويلاتها كما تعلم، إلى ما هو عليه الحال في عالمنا الحاضر، الذي نعرف الآن أنه مجرد عالم واحد ضمن عوالم ممكنة ومتعددة. [قرأوا بياترس على أنها صديقة دانتي، وفي إمكانك قراءتها بصفتها رمز نسوي وليس مجرد شخصية حقيقية].

وحدث أن وقعت أثناء كتابة بحث عن الرمز في الأدب العربي القروسطي، على إيكو الأكاديمي، وبعد سنوات سمعت باسم الوردة في أحد البرامج مقترنًا بالكتب الممنوعة. وبالطبع قرأت الرواية وشاهدت الفيلم وتعرفت على

موهبة إيكو البارعة في تطبيق الفن على النظرية النقدية أو تطبيق النظرية النقدية على الفن، إنني لم أقرر بعد أيهما أسبق.

وقابلته مرة أخرى بعد سنوات عن «بعد، أيضا،» وذلك أثناء تفرغي للبحث العلمي في الولايات المتحدة، فقد كنت أحفر باحثا عن البنية العميقة لسيرة الظاهر بيبرس الشعبية، وبشكل خاص، عن الدور المهم للحلم الإرصادي ونتائجه في هذه السيرة الشعبية الأدبية التي تناقض سيرته التاريخية.

وأثارت هذه الإشكالية فضولي، واقتضت الدراسة تطبيق المنهج العلاماتي السيميائي لتحاشي القراءة التاريخية، وقادني البحث إلى كتابات تشارلز بيرس، وتكشف لي أن سيرة الظاهر بيبرس غابة مليئة بالاحتمالات الشيقة. ولكن معظم علاماتها السيميائية صعبة أحيانا وملتبسة في أحيان أخرى، ووجدت عند إيكو ضالتي وأفدت من بعد نظره وفهمه لنظرية تشارلزبيرس السيميائية. ثم ترجمت هذا الكتاب لأمبرتوإيكو ربما ليتاح للقاريء العربي الاستمتاع «بالطرق المتعددة» والممكنة لمقاربة النصوص السردية والإبداعية. وتسألني، هل هي الترجمة الأولى من نوعها في السعودية؟

نعم، إنها المرة الأولى التي يترجم فيها إيكو في السعودية. أما في لبنان فقد ترجم أنطون أبو زيد «دور القاريء في الحكاية»، ولكنها ترجمة ترهق القاريء. وفي تونس ترجم أحمد الصميعي رواية *إسم الوردة*، وهي ترجمة جيدة.

س٢: لماذا كتاب «ست جولات في الغابة القصصية» بالذات؟

جـ٢: أعتقد أنها مجرد مصادفة سارة (serindipety) فأنا شغوف بالبحث عن الكتب الجديدة في النقد الأدبي الحديث لأعود بها بعد كل زيارة إلى الولايات المتحدة وكنت في أحد الأيام الأخيرة قبل سفري إلى القاهرة في طريقي إلى الرياض، أستعرض متباطئا (lingering) عناوين الكتب النقدية في مركز بيع الكتب في جامعة منيسوتا (تخرجت فيها) ورأيت اسم إيكو على هذا الكتاب الأنيق الذي نشرته هارفرد ضمن المحاضرات النورتونية. وتعلم أن المحاضرات النورتونية تقنن معايير النقد الأدبي في أمريكا إضافة إلى سمعتها السلطوية

العالمية. وعلى أي حال فقد جعلت براعة إيكو وفنية أسلوبه ترجمة هذا الكتاب متعة استثنائية. وأرجو أن يستمتع القارىء به كما استمتعت بترجمته، فآراء إيكو عن دور القارىء والمؤلف (الحقيقي والنموذجي)، وعن التباس الحدود بين القصة والتاريخ، واستعارة النصوص بصفتها غابات، كلها ذات صلة بالقضايا النقدية الراهنة في العالم العربي.

س٣: يقول الإيطاليون إن «الترجمة خيانة»؟ (Tradurre e tradire)

جـ٣: إذا كانت الترجمة خيانة فإن عصرنا الحاضر محصلة لتلك الجريمة، وهي فكرة غير مريحة. فمعظم المعرفة الكلاسيكية، العلمية والفنية قد ترجمت منهجيّا (systimaticly) من اليونانية إلى العربية منذ العصر الأموي (٧٠٠م). ولكن الترجمة لا تكفي في حد ذاتها، وهذا ما فهمه مثقفو العصر العباسي والأندلسي فسعوا إلى الاستيعاب والتمثل والتطبيق والإضافة والخطأ أحيانا مما جعل بغداد وقرطبة محطتين باهرتين في مسيرة الحضارة العربية. وأفصح عن دور التثاقف في دفع الحضارات إلى الأمام. ثم عكست العملية وترجم الغرب من العربية ما أسهم في شروق عصر النهضة في أوربا، ولا أعتقد أن في ذلك جريمة، وإنما الجريمة والخيانة التي أعتقد أنك تشير إليها هي في حالة ضياع المعنى أو تزييفه أو الخطأ في نقله، وهذا هو التحدي مع إيكو، إن كتاب ست جولات مؤلف محكم النسج ومتعدد الأبعاد والطبقات، ولا يمكن قراءة الفصل الثاني قبل قراءة الفصل الأول، والترجمة الحريصة الأدبية هي الوسيلة الوحيدة للبراءة من التخوين، والسبيل الوحيد لاستيعابه وفهمه والاستمتاع به.

س٤: ما هي الصعوبات التي واجهتها في ترجمة ست جولات؟

جـ٤: لم يكن ثمة في الواقع صعوبات، وإنما في بعض الأحيان انبهار ملهم. فالكلمة الواحدة أحيانا تزدحم بالمعلومات المتعددة، ولعل أغنى الكلمات التي صادفتها هي عنوان النص الذي استعمله إيكو ليولد استعارته الغابوية. فكلمة «سيلفي» تشير إلى عنوان رواية نرفال واسم للشخصية الرئيسية فيها. وتستطع أي ترجمة أن تؤدي المعنى، ولكن سيلفي تقع أحداثها في الغابة الضبابية

المحيرة التي يتحتم فيها على القاريء أن يبحث عن علامات تقوده عبرها. كما أن للكلمة إيماءات أخرى، فكلمة سيلفيان الإنجليزية تعني ما له علاقة بالغابة، كما تعني قاموس الكلمات والجمل. ولذا فإن الأدب يتشابك مع الغابة. وعلاوة على ذلك فسيلفي هي تهجئة لاتينية خاطئة للكلمة الإغريقية «هايل» (Hyle) التي تعني «خشب». وربما يبدو التوقف عند التحريف الكلمي مضيعة للوقت، إلا أن إيكو يستهلك صفحات عديدة ليقارن بين خرائط باريس الحالية وخرائط باريس في زمن الفرسان الثلاثة وزمن باريس أثناء حياة الكسندر دوما. فالشوارع تظهر أسماؤها محرفة قليلاً، وهو تحريف له وظيفة دلالية. وقد يبدو غير مهم في الجولات الست، أيضًا، إلا أن أي إنسان على إلمام بأعمال إيكو سيدرك أن إيكو لن يقوده إلى الضياع. فوميض أسماء الشوارع المحرفة مفتاح (Clue) وإحالة إلى المنطقة الرمادية الواقعة بين التاريخ والمتخيل وإلى القصص التي تتخذ التاريخ قناعًا، فيلتبس فيها التاريخي بالمتخيل السردي.

س٥ : ما نوع القاريء الذي يتوجه إليه كتاب ست جولات؟

جـ ٥ : أرجو أن يقرأه الأكاديميون ليشهدوا هذا الإبداع غير التعليمي الجاف وليطلعوا على عملية التفاعل الخلاق في عرض النظريات النقدية. وعلاوة على ذلك فإن معارف إيكو الموسوعية تجعل الجولات الست تقريبًا مدخلاً وكتابًا تمهيديّا للثقافة الغربية. وآمل أن يقرأه كل من يريد الاطلاع على الأعمال الفنية الأوربية والأفلام الأمريكية. فالكتاب فرصة للتعرف على - ذلك - الآخر.

س٦ : ماذا عن مؤلفات إيكو الأخرى؟

ج٦ : تُرجمت «اسم الوردة» في العالم العربي ثلاث ترجمات إحداها ترجمة تجارية مليئة بالأخطاء ولكن أفضل ترجمة لها تلك التي أنجزها «أحمد الصميعي». والكتاب الآخر هو «دور القاريء» إلا أن ترجمته جاءت متأخرة (١٩٩٦م). والتأخر في ترجمة الأعمال العالمية يحرم الحركة النقدية العربية المعاصرة مواكبة المستجدات النقدية العالمية.

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
كلمة شكر	هـ
مقدمة المترجم	ز
حوار مع المترجم	ك
المحتويات	س
١ – دخول الغابة	١
٢ – غابة لوايزي	٢٩
٣ – التباطؤ في الغابة	٥٣
٤ – غابة ممكنة	٨١
٥ – حالة شارع سرفاندوني الغامضة	١٠٥
٦ – بروتوكولات قصصية	١٢٧
٧ – ثبت المصطلحات	١٥٥
٨ – كشاف الموضوعات	١٦٩